14 أكتوبر
14 OCTOBER
Email: 14october@14october.com

اقرأ اعتبارا من يوم السبت القادم وعلى ثلاث حلقات

ليس ربيعا عربيا بل سايكس ـ بيكو جديد

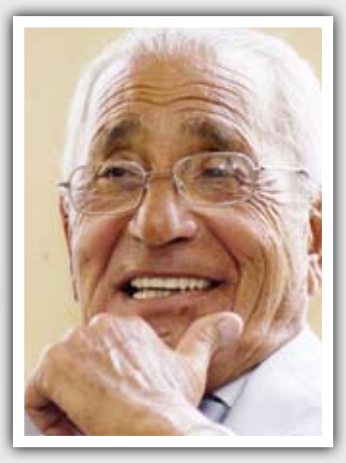

محمد حسنين هيكل

الإعلام الخاص ـ مع درجة من الفوران لا يصح إنكارها ـ مملوك بالكامل لرؤوس أموال لها مصالحها، وأستحيي أن أذكر الأسماء، فقد يكون في ذكرها شيء من الاستعداء أو الإساءة، لكن علينا أن نتذكر مقولة شهيرة ملخصها : ((قل لي ما هي مصالح أي رجل ، وأنا أقل لك ما هي أفكاره)) !! .. أي أنهم جميعا أصحاب مصالح يريدون حولها سورا واقيا من النفوذ والتأثير.

هناك عناصر كثيرة وجدت في ما يسمى (الربيع العربي) فرصة لتستولي على الشارع، وبضمنها جماعات ذات أهداف سياسية متباينة، وأيضا ذات مقاصد ونوايا مختلفة، لكن الأخطر أن هذا الزحام أوجد مسرحا لانفلات أمني وجرائم تشمل قطع الطرق، والسطو المسلح، والابتزاز، واستباحة الشوارع لأغراض متصارعة، وهذا كله طبيعي عرفته الثورات، بل إن هذا الانفلات كان هو سبب ظاهرة «نابليون» التي جاءت لوضع حد «للفوضى» ثم انتهت بنظام ديكتاوري امبراطوري !!

التدخل الخارجي جاء من قوى كبرى وجدت في الربيع العربي الذي فاجأها في« تونس» و«مصر» فرصة نادرة للاستغلال، وكذلك فعلت أمريكا وفرنسا وإنجلترا، وكلها رفعت ألوية حق يراد به باطل، ثم جاء هذا التدخل أيضا من الإقليم.. فقد كان في الجوار المباشر وغير المباشر من المتدخلين كثيرون، وأعرف لسوء الحظ أن ملايين من الدولارات وصلت إلى من لا أعرف، وملايين أخرى أشك أنه وقع «دسها في جيوب ناقليها» قبل أن تصل إلى عناوينها .. وهناك جمع كبير من الأفراد ومن الجماعات يلملمون الحاجات، ويكدسون الأشياء، ويحزمون الحقائب، وكلهم يريد السفر، وهذه الحقائب ـــ الجاهزة والمعبأة والمحشورة والمربوطة ـــ تحتاج منا إلى فحص ووزن قبل أن تمر عبر بوابات التأمين والأمان.. ما نراه الآن ليس مجرد (ربيع عربي) تهب نسماته على المنطقة، وليس مجرد عاصفة تقتحم أجواءه برياحها وغبارها وعتمتها، وإنما هو في ذات الوقت تغيير إقليمي ودولي سياسي، يتحرك بسرعة كاسحة على جبهة عريضة، ويحدث آثارا عميقة، وأيضا محفوفة بالخطر!!

الإخوان المسلمون هم العنصر الأظهر في المشهد السياسي هذه اللحظة، وهم عنصر شديد التعقيد وشديد الحساسية، فقد بدأوا في أواخر العشرينيات من القرن الماضي (القرن العشرين) جماعة تدخل إلى الساحة، ووراءها خلفية إسلامية ظاهرة، وأمامها تنظيم شبابي نشيط صنعته مهارات استثنائية في الحشد توفرت للمؤسس الأول للإخوان المسلمين، الأستاذ«حسن البنا»، وقد كنت دائما أقول لمن أعرف من أقطاب الإخوان المسلمين، وفيهم أصدقاء أعتز بهم. إنني خلافا لمعظم الإخوان رأيت مرشدهم الأستاذ «البنا» في كافة أحواله.. رأيته في عز قوته في الشباب بعد صلاة الجمعة ذات مرة سنة1946، ثم رأيته في شدة ضعفه يوم كان يستعد ليقدم لوكيل وزارة الداخلية بيانا يتبرأ فيه من قتلة «محمود فهمي النقراشي» (باشا)، وكان عنوان بيانه:«ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين».. وتلك وقائع معروفة ومنشورة لا داعي للعودة إليها الآن.. لكن الذي حدث هو أن الإخوان المسلمين لم يكونوا في أي وقت من الأوقات ـ حتى الآن ـ في وضع يمكنهم من حضور سياسي قانوني، أو من حضور فكري عصري.

التجديد الحديث في الفكر الإسلامي قام به الشيخ «محمد عبده» .. لكن التنظيم الإسلامي المستجد قام به الأستاذ «حسن البنا».. ولم يحدث أن التقى فكر «محمد عبده» مع تنظيم «حسن البنا»، ولو حدث لكان للإخوان المسلمين الآن شأن آخر يفوق ما تطورت إليه التنظيمات الإسلامية في «تركيا» مثلا.. لكن الإخوان المسلمين في مصر عرّضوا أنفسهم أولا ثم تعرّضوا هم ثانيا لكوارث.. والسبب أنهم مع وجود خلفية إسلامية لها قيمتها، وإن كانت غير محددة ولا متجددة وراءهم، وفي نفس اللحظة مع وجود تنظيم قوي بناه «حسن البنا» وقعوا في مآزق كثيرة.

هناك من حاول منذ البداية استعمال الاخوان المسلمين في معركة الخلافة بين الطامعين في الخلافة من العرب بعد سقوطها في «إستانبول».. يستوي في ذلك ملوك مصر من أسرة «محمد علي» أو ملوك السعودية وأسرة «عبد العزيز»، فالطرفان حاولا الفوز بميراث الخلافة.. الملك «فؤاد» بقوة النفوذ، والملك «عبد العزيز» وخلفاؤه بقوة المال!! .. وبالمقابل أخطأ الإخوان حين حاولوا أن يثبتوا أنفسهم طرفا لابد أن يحسب له حساب .. وقد فعلوا ذلك بقوة التنظيم السري اختصارا للطرق، لكن ذلك أدخلهم في غياهب العنف والأوهام.